



بعد سبعة أعوام من تجاهل عالمي ملحوظ ومتزايد لما يرتكب في بلادنا (سوريا) من جرائم روسية/ إيرانية / أسدية ضد شعبنا، لم تخرج معظم ردود أفعالنا إلى اليوم عن الميل إلى تحويل الآخرين المسئولية عما يجري لنا، وغمّرهم بالشتائم. لم تكن هذه السنوات السبع كافية لأن نفكر بأن علينا، نحن أنفسنا، مسؤولية ما عن هذا الذي وصلنا إليه. إذا كان العالم لا يريد مساعدتنا أو تفهم قضيتنا العادلة، ألا نريد نحن مساعدة أنفسنا والانتصار لقضيتنا، أم أن دورنا يجب أن يقتصر على شتم الآخرين، والامتناع، في الوقت نفسه، عن القيام بواجبنا تجاه أنفسنا، باعتبارنا شعباً مرشحاً للإبادة، أم أن موقفنا يجب أن يكون الوجه الآخر لموقف العالم منا؟ أليس من الأجدى التوقف عن شتم عالم لا ينصفنا، والبدء بإيقاظ أنفسنا من محننا من الواضح أن ما اعتمدناه إلى اليوم من سياسات وموافق لن يستطيع إخراجنا منها.

من المفهوم أن يتسلل اليأس إلى نفوسنا، بسبب موقف العالم منا، لكنه ليس مفهوماً أن ننسهم بتقصيرنا في تعميق يأسنا، وتحويله إلى إحباطٍ يسبق عادة العجز فالهزيمة، وما يتربّع عليهما من تحول صراعنا ضد النظام إلى صراعاتٍ تدميريةٍ بيننا، وفي صنوف شعبنا، تمعن في تمزيقنا أكثر مما نحن ممزقون، وتغرقنا في حالٍ من التخبّط، لطالما قادت ثوراتٍ كبيرة كثورتنا إلى الفشل.

بدل الشكوى الدائمة من ظلم العالم وانحيازه إلى موتنا، أليس من واجبنا أخذ هذه الحقيقة بعين الاعتبار في حساباتنا، ومواجهتها بخطط مدرّسة نبلورها ونطبقها أخيراً، سعياً إلى ترميم أوضاعنا ثم إصلاحها، ليس فقط لأن لها دوراً لا يستهان

به في ابتعاد العالم عنا، وإنما أيضاً، وقبل كل شيء، لأن صمودنا اليوم وانتصارنا غداً رهن بمبرحة واقعنا المريض، وإصلاح واقعنا بما يعيينا على إقناع الدول بأن مصالحها لن تكون محفوظة عندنا، إلا بقدر ما تكون حقوقنا مصونة عندها، وأن دورنا سيكون مقرراً بالنسبة لتحديد هوية الفائزين والخاسرين في صراعٍ تخطى نتائجه سورية والدول العربية والإقليمية إلى الدول الكبرى والعظمى، سيتوقف مستقبل العالم ومآل قواه على مخرجاته.

بعد سبعة أعوام من إدانة العالم، حان الوقت كي ندير ظهرنا لهذا النهج العبثي، ونلتقيت إلى ما أهملناه دوماً: وضعنا نحن: وضع قوانا السياسية والعسكرية، ووضع شعبنا في الداخل والخارج، ونمط ما اتخذناه من موقف وبلورناه من رؤى وبرامج، لمواجهة ما مررنا ونمر به من تحديات، ووضع ممارساتنا وأساليب التي استخدمناها في معركتنا الشاقة من أجل حريةنا، وما قمنا به من تدابير، لكي لا يتقدم أعداؤنا علينا، ونجد أنفسنا محكومين بردود أفعال ترك لهم المبادرة والأعمال الاستباقية، وتجبرنا على انتهاج سياساتٍ لا يمكن أن يحترمها أحد، مفكرة ولحاقية وجزئية، وتفتقـر إلى الواقعية والانسجام، كما هو حال سياساتنا خلال سبعة أعوام مضت، لم نتعلم خلالها الكثير حول مسؤوليتنا نحن عن مصيرنا.

إذا كانت الدول تتخذ موقفاً ظالماً منا، فهل هذا سبب كافٍ لأن نتخدـنـحنـ أيضاًـ الموقفـ ظالـمـ نفسهـ منـ شـعبـناـ وـثـورـتناـ، وـنـظـلـ أـسـرـىـ عـلـاقـاتـ مـرـكـزـهاـ الـآـخـرـ وـلـيـسـ نـحـنـ، عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ أـنـنـاـ نـحـنـ أـصـحـابـ قـضـيـتناـ، وـلـيـسـ هوـ أـوـ أـيـ أـحـدـ سـوـانـاـ. مـنـذـ نـيـفـ وـسـتـةـ أـعـوـامـ، وـنـحـنـ نـدـبـ حـظـنـاـ، وـنـدـيـنـ ظـلـمـ الـعـالـمـ وـتـجـاهـلـهـ لـنـاـ. أـمـاـ حـانـ الـوقـتـ لـكـيـ نـخـرـجـ مـنـ هـذـاـ مـرـضـ الـذـيـ جـعـلـ مـنـاـ نـدـبـينـ بـكـائـينـ، لـخـيـرـ فـيـهـمـ لـقـضـيـتـهـمـ الـعـادـلـةـ الـتـيـ تـتـعـرـضـ عـلـىـ أـيـدـيـهـمـ هـمـ بـالـذـاتـ لـأـفـدـحـ ظـلـمـ وـتـجـاهـلـ يـنـزـلـ بـهـاـ.

المصادر:

العربي الجديد